

مدخل إلى الدراما والمسرح

- مفهوم الدراما
- دور الدراما في التربية والتعليم
- تاريخ المسرح وأشكاله
- تعريف المسرحية وأشكالها
- عناصر بناء المسرح
- تقنيات العمل المسرحي
- التمثيل والإخراج
- الدراما عمل جماعي
- مسرح الطفل في الأردن
- صفات معلم الدراما

الدراما والمسرح وجهان لعملة واحدة، ووحدتهما هي التي تؤدي إلى وجود فن مسرحي ينبض بالحياة. فالدراما تتولد من الفكر والعاطفة والخيال وهذه جميعها تحتاج إلى المسرح الحي الذي يتألق بمختلف التعابير الجميلة من حركة ورقص وغناء وتمثيل.

والدراما مهمة للأطفال لأنها عبارة عن نشاط، لعب... واللعب بالنسبة للطفل هو حياته وعن طريقه يتعلم ويقبل على العالم بفرحة ونشاط.

والمسرح هذا الفن القديم الأصيل والمتجدد دائماً من أقرب الفنون إلى قلوب الناس وعقولهم لأنه يشعرهم بالبهجة والفرحة ويزودهم بالثقافة والمعرفة. وقد قيل: «أعطني مسرحاً أعطيك شعباً متحضراً».

والأطفال يحبون المسرح كثيراً خصوصاً ذلك النوع الملائم لطبيعتهم ومرحلة العمر التي يمرون بها، وحين يشاهد الأطفال مسرحية ما مثلاً، من الممكن ملاحظة فرحتهم بذلك، وسماع ضحكاتهم المميزة وهو تجلجل في أرجاء المكان.

مفهوم الدراما والمسرح:

نشأت الدراما - في بادئ الأمر- من الحاجة للسيطرة على تجارب الحياة المختلفة، حيث سعى الإنسان إلى اكتشاف معنى هذه التجارب واستنباط قوانينها لتحويلها لصالحه في صراعه الدؤوب من أجل البقاء. فقبل الخروج إلى الصيد -على سبيل المثال- كان يقوم بتمثيل رحلة الصيد وما بها من حوادث وصراعات، ويحاول أن يصل إلى هدفه في النهاية. وكان التمثيل، في أحيان كثيرة، مدعاة للنجاح في رحلة الصيد المقبلة.

كما نشأت الدراما قديماً من حفلات الطقوس الدينية حيث كان الإنسان يجسد صراعه مع القوى الغيبية غير المحسوسة.

والدراما كلمة يونانية انتقلت إلى اللغة العربية لفظاً، لأمعنى، وهي نوع من أنواع الفن الأدبي ارتبطت من حيث اللغة بالرواية والقصة، واختلفت عنها في تصوير الصراع وتجسيد الحدث وتكثيف العقدة. وقد تأخذ الدراما شكل الشعر وزناً وقافية، أو قد تتحرر من هذين القيدين حين تأخذ شكل النثر. والدراما أيضاً كلمة كانت تطلق على كل ما يكتب للمسرح، أو على مجموعة من المسرحيات التي تتشابه في الأسلوب أو المضمون. (داوسن: 1989).

إن الدراما أثناء أدائها، وكنقيض لكل الفنون المنتجة للوهم، تحتوي نسبة أكبر من الواقع، ويمكن القول: إن إحدى مفاتيح الدراما وهي تؤدي كونها دمجاً لما هو خيالي محض نتج عن مخيلة الكاتب مع عنصر من الواقع الحي للممثلين، كملابسهم، والأثاث المحيط بهم، والأشياء التي يتعاملون بها كالسيوف والمراوح أو السكاكين والشوك. إن كل أداء مسرحية حدثت قبل قرون مضت يمكن مشاهدتها على هذا الأساس كعملية إنبعثت: فالكلمات والأعمال الميئة يعاد تجسيدها بالحضور الحي للممثلين. وفي المسرح الحي فإن هذا الجانب من دمج عنصر ثابت (النص) مع عنصر متدفق (الممثلون) هو ما يجعل كل أداء للعمل قطعة فنية قائمة بذاتها -حتى ضمن عرض طويل الأمد لمسرحية واحدة بنفس طاقم الممثلين، والمناظر، والإضاءة، الخ.. (اسلن 1987).

لقد تطورت الدراما كثيراً على مدى تاريخها ونتج عنها أشكالاً متعددة مثل الأوبرا والباليه، والمسرح الإيمائي، ومسرح العرائس، والمسرحيات الموسيقية والسيرك. والدراما من خلال السينما والتلفزيون والراديو. والأصل في الدراما هو المسرح، والأشكال الدرامية الأخرى تحتاج لمعظم العناصر والتقنيات التي يحتاجها المسرح الحي من ذلك مثلاً مجموعة الممثلين، الديكور والمناظر، الموسيقى، الإضاءة، الملابس...

وبإيجاز يمكننا تعريف الدراما بأنها شكل من أشكال الفن الأدبي القائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تدخل في أحداث، وتتسلسل أحداث هذه القصة من خلال الحوار المتبادل بين الشخصيات، ومن خلال الصراع الذي ينشأ ثم يتأزم ثم ينتهي عن طريق المصالحة أو الفصل بين القوى المتصارعة. وتتجسد هذه الصورة عن طريق الممثلين والديكور والملابس والإضاءة والموسيقى...

أما المسرح لغة فهو المكان الذي تسرح فيه الماشية للرعي. كما يتضمن هذا اللفظ معنى التفریح والفرح. أما المسرح اصطلاحاً فيشير إلى المكان الذي تمثل عليه المسرحية. ويحتاج المسرح الحي لمخرج وممثلين وتقنيات فنية عديدة مثل الديكور والمناظر، كما سبق القول.

وللدراما آثار إيجابية على الفرد، سواء كان راشداً أم طفلاً. ويعبر بيتر سليد عن هذا بقوله: إن الدراما تعمل على إيجاد فرد سعيد ومتوازن. وعن طريقها يتعرف المربي على الطفل وامكانياته ويصبح شخصاً ودوداً صديقاً للطفل قادراً على فهمه وحل مشكلاته.

دور الدراما وأثرها في التربية والتعليم:

نلخص هذا الدور في النقاط الآتية:

- 1- تثري قدرة الفرد على التعبير عما بداخله ليصبح أكثر قدرة على التأثير في الآخرين وتوجيههم من أجل تلبية إحتياجاته وحل مشكلاتهم.
- 2- تتيح الفرصة للإنسان ليحرب مواقف الحياة المختلفة، ويضع حلولاً لها ويحاول التكيف معها.
- 3- تعرف الإنسان بالآخرين من خلال قيامه بتفحص شخصياتهم فيصبح أكثر قدرة على التعامل معهم.
- 4- تعرف الإنسان بنفسه، بقدراته ومواهبه مما يساعده في تنمية شخصيته.
- 5- تروض الجسم، وتنمي الحواس من خلال الرقص الإيقاعي واللعب الدرامي والتعبير الحركي.
- 6- تكسب الفرد الثقة بالنفس وتقوي رابطة الصداقة مع الكبار مما يساعده على التعلم.
- 7- تعلم الفرد إطاعة الأقران، كما تطور لديه مهارة القيادة ومشاعر الشفقة والمشاركة الوجدانية والتعاون وضبط النفس.. وذلك من خلال تقديمه الأدوار المختلفة.
- 8- تزيد من معلومات الفرد، وتشبع حب الاستطلاع لديه.
- 9- تُنمي الخيال، وتؤدي إلى الإبداع.
- 10- تبسط المواد الدراسية عن طريق مسرحتها بأسلوب مشوق وجذاب.
- 11- تثري اللغة عند الفرد وتقضي على عيوب النطق وتعديل السلوك.
- 12- تنمي الذوق الفني والجمالي والحس النقدي.
- 13- تشعر الإنسان بالمتعة والبهجة مما يجعله أكثر قابلية للتعلم.
- 14- تمنح الحكمة والقوة والشجاعة والخبرة.
- 15- تنمي حس كتابة المسرحيات وحب الأدب الجيد.
- 16- تخلص الإنسان من الكبت والإنفعالات الضارة.

17- تربي الإحساس بالفن وحب المسرح.

18- تعد الصغار لدراما الكبار.

19- تبني فرداً راشداً له قيمته لنفسه ولجتمعه.

20- تثري معرفة الفرد بالتراث المسرحي وحرفيات المسرحي وعناصره من حركة وصوت وإيقاع وباقي الجوانب التقنية والفنية في العملية المسرحية.

وحتى تقوم الدراما بدورها الإيجابي ينبغي على الآباء والمدرسين ملاحظة مدى تأثر الأطفال بمشاهدتهم لمسرحية ما، وماذا استطاعوا فهمه، وماذا خفي عليهم وذلك من أجل تأكيد الإنطباعات الصحيحة.

ومن السهل أن تتم عملية النمو الفني لدى الطفل إذا اهتم الكبار بذلك وشاركوا فيها بعمق، ويحسن أن نترك الطفل في اليوم الأول والثاني عقب مشاهدة المسرحية لكي يستكمل انطباعاته عنها ثم يعيد تذكر الأحداث والشخصيات التي رآها، ولتنمية جوانب الوجدان الفني التي أيقظتها لدى الطفل فرصة مشاهدته للمسرح. وعقب هذه الفترة يبدأ المربي في مناقشة الأطفال فيما شاهدوه مع الاستفادة من ردود الأفعال التي أوردتها الأطفال وهم في قاعة المسرح في تحديد الإتجاهات التي ستدور حولها القصة. ويمكن البدء بدعوة الأطفال لكي يعيدوا سرد ما شاهدوه في المسرح مع معاونتهم على تذكر الأحداث والمواقف والمبادئ الأساسية للفنون، ونساعدهم في إدراك أوجه التشابه والإختلاف بين أبطال المسرحية. وسنلاحظ أن الطفل يحب أبطال المسرحية ويقلق على مستقبلهم كما نجده يكره بعضهم، ومن غير المستحب أن نمنع الطفل من التعبير عن هذه العواطف بحرية وتلقائية. (عويس:1977).

تاريخ المسرح وأشكاله:

1- تاريخ المسرح:

يعد المسرح الفرعوني الرائد الأول للمسرح العالمي، فقد نشأت في مصر الفرعونية وثنية قديمة ذات تقليد وقامت أساطير تروي وتحوي أعجب القصص، وذلك قبل الوثنية الأغريقية

بثلاثة آلاف عام. وتدور هذه القصة حول الآلهة أوزيريس إله الزرع والخصب والخير والماء والنماء. ومن خلال النقوش الفرعونية على الآثار تتضح حقيقة مسرحية هذه الأسطورة وإشتراك الفرعون والكهنة والأمراء والشعب في تمثيلها داخل المعابد وفي ساحاتها وعلى شاطئ النيل. (قاسم: 1980).

المسرح اليوناني: نشأة الدراما الإغريقية مرتبطة تماماً بتلك الأناشيد والرقصات الجماعية التي كانت إحياء لطقوس فيها عبادة الإله «ديونيسوس» إله الخصب والمرح والخمر، والتي لم تكن تعرض إلا في أعياد هذا الإله. وعندما كتب الشاعر «هوميروس» ملحمتي «الإلياذة» و«الأوديسة» أصبحتا منهلاً عذباً للمسرح اليوناني.

ولا يغرب عن البال أن الشعراء المسرحيين اليونانيين قد جعلوا مسرحياتهم في إطار الآلهة أو الأبطال الخياليين ثم الملوك، وكانت تلك المسرحيات تتناول الصراع الذي ينشب بين الآلهة وبين بطل المسرحية من بني البشر. وكانت المأساة الإغريقية تدور حول محور «القضاء والقدر» إيماناً بأن الإنسان مسير لامخير، وأن هناك قوى غريبة تتحكم في حياته ولا يملك منها فكاكاً. (المرجع نفسه).

وكان الأطفال اليونانيون يشتركون في المواكب الدينية التي كانت تحمل طابعاً درامياً، كما كان جمهور المشاهدين يضم عدداً كبيراً من الأطفال، ومن المرجح أن الأطفال قد اشتركوا في الإحتفالات الدرامية، كما شاهدوا مسرحيات كثيرة، ولكن جميع هذه المسرحيات كانت للكبار ولا يفهم منها الصغار إلا بقدر ماتسمح به قدراتهم العقلية المحدودة. (وارد: 1966).

المسرح الروماني: لم ينكر أحد تأثير الدراما اليونانية بعظمتها وسحرها على ألباب الرومان تأثيراً بالغاً دفعهم إلى ترجمتها وتقليدها ثم أخذوا يدرجونها شيئاً فشيئاً تحت السماء الرومانية حتى صارت فناً رومانياً مميزاً ابتعدت فيه عن الدين، لابلانص وحده وإنما بالأداء الراقص. لهذا يعد المسرح الروماني أول من نأى عن المجال الديني بعد أن بدأ فيه، ثم إتجه إلى المرح والترفيه والإستمتاع. (قاسم: 1980).

وكان جمهور المشاهدين من الأطفال في المسرح الروماني أقل منه في المسرح اليوناني، إلا إذا اعتبرنا المناظر الباهرة التي كان يتميز به المسرح الروماني لونهاً يستهوي الأطفال.

والرومانيون كغيرهم كانوا يقيمون مهرجانات دينية ذات صبغة درامية يشترك فيها أبناء الشعب. ولكن المسرحيات التي كانت تعرض على المسارح الضخمة خلال الخمسمائة سنة الأولى بعد الميلاد انحدرت إلى استعراضات غير لائقة. وعلى الرغم من أن الرومان كانوا يحبون أطفالهم لمشاهدتها إلا أنها كانت مما لا يصح عرضه عليهم (وارد: 1966).

المسيحية والمسرح: إنحدرت عروض المسرح الروماني كنتيجة طبيعية للإنحلال السلوكي في المجتمع، فكان لا بد أن تهاجم المسيحية هذا المسرح الهابط، حتى استطاعت القضاء على المسرح قروناً عديدة. (قاسم: 1980).

وفي القرن السادس حتى القرن الحادي عشر كان المشعوذون والراقصون هم الذين يتولون عملية الترفيه التي اتسمت بطابع درامي. وكان الأطفال ضمن من يشاهدون هذه الألوان الفكاهية المتنقلة في الخلاء، تماماً كما كانوا فيما بعد ضمن الجمهور الضاحك على عروض الأراجوز (وارد: 1966).

وفي القرن الحادي عشر ظهر نوع جديد من الترفيه، إنه المنشد الذي يؤلف الأغاني ويلحنها وينشدها بمصاحبة إحدى الآلات الموسيقية، ومع أنه كان يستهوي الكبار والصغار على السواء، إلا أنه كان من النادر أن يلتزم بتمثيل شخصيات محددة مما جعله لا يدخل في عداد طبقة المشتغلين بالمسرح. في الوقت نفسه احتضنت المسيحية المسرح بعد أن أخضعتة لتعاليمها وقدمت المسرحيات الشعبية في الإحتفالات بعيد القيامة وعيد الربيع وعيد الميلاد.

وفي إنجلترا أصبحت رقصة السيف أكثر الرقصات شيوعاً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، إنها رقصة تعبيرية يصور فيها الراقصون أبطالاً من الشعب ومن الأساطير، كما يؤدي المهرجون بعض الحركات المضحكة.

وقد أضيف الحوار إلى هذه الرقصات وتطورت إلى مسرحية شعبية نابضة، وكانت تعرض في الريف ويقوم الفلاحون فيها بالتمثيل. أما جمهور المشاهدين فكان يتألف من مالك الأرض أو العمدة وأصدقائه وأفراد أسرته، وقد انتشر هذا اللون الدرامي وتميز بالبساطة وكان يستهوي الأطفال والشباب. (وارد: 1966).

وساد أوروبا، بعد ذلك، حماس بالغ لإستلهاهم الماضي فإذا بمسرحيات المؤلفين القدامى تعود إلى الظهور، وبدأت المسرحيات الدينية تختفي ليظهر مكانها المسرحيات التي تعالج

الحياة والواقع. وفي بريطانيا في القرن السادس عشر اهتم القصر الملكي بالتمثيل واقامت حفلات تمثيلية قدمت مسرحيات فيها الكثير من مظاهر الخشونة والقسوة. وكان نظار المدارس يقومون بتأليف مسرحيات لتلاميذهم، ثم بدأ كبار الكتاب يؤلفون مسرحيات لفرق التمثيل. (المرجع نفسه).

واليوم تطور المسرح كثيراً وتعددت أشكاله فاهتم بالصغار وتنوعت مسارح الأطفال بعد أن كان المسرح للكبار ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، مسارح تقوم كل يوم وتجلب الفرحة إلى قلوب الأطفال.

المسرح العربي: في زمن الجاهلية لم يعرف العرب المسرح، هذا هو رأي العديد من المفكرين مثل محمود تيمور، توفيق الحكيم وطه حسين. (راشد:1977).

ويرى آخرون أن الأسواق الأدبية العربية وما كان يجري فيها من فنون الإلقاء والإنشاد مأيؤكد وجود عناصر مسرحية قد تتفق في بعض عناصرها وقد تختلف في البعض الآخر مع عناصر المسرح اليوناني وغيره. ويعد الأداء الإلقائي العنصر الأساسي في الأداء المسرحي كما نجده بوضوح في المسرح الإغريقي الذي قام أول ما قام على الشعر وإلقاءه، وهو أداء متميز ومتفوق عند العرب ويتمثل هذا في الخطابة والشعر. وكان المزاج السائد عند الوثنية العربية يتمثل إلى حد كبير مع المزاج الروماني من حيث الإغراق في الاستمتاع الحسي، فقد كان العرب حينها يتنافسون في جمع أكبر عدد من الجوارح والعبيد الذين يقدمون ألواناً من الفنون الحسية مثل ضرب الدفوف والعزف وقرع الكؤوس والرقص.

ومضت الأيام في صدر الإسلام والدولة الأموية دون بوادر تمثيلية مسجلة وفي عهد الدولة العباسية ظهرت تمثيلتان اسلاميتان وعتهما المراجع وهما «محكمة ابن بشر» و «آلام الحسين» (قاسم: 1980).

ويقدم أنور الجندي رأيه في كتابه «أصالة الفكر العربي والإسلامي» فيقول مامعناه: إن العقل العربي عرف الأسطورة والقصة وعبر بالحركة والإيقاع في فنونه... وعرف الملحمة والمقامة، وعرف التمثيل في فن الراوي ومنشد الربابة الجوال، والحكواتي الذي يقدم قصصه أمام حشود من الناس في الأسواق والساحات. كما برز العرب في كثير من جوانب الحضارة الإنسانية منذ فجر الإسلام، وأسهموا في مختلف الفنون والآداب وهناك

دلائل تشير أنهم عرفوا القصة والرواية وأعمالاً درامية خالصة في رسائل ابن شهيد والمعري ومقامات بديع الزمان والحريري، وأن لهم في مجال المسرح آثاراً عديدة، ومن أشهرها القصص الدرامية في أعمال ابن حزم وابن عبد ربه وكتب الجاحظ ونوادير جحا. فالأدب العربي زاخر بالقصص التمثيلية التي تدور على لسان الطير والحيوان وتصلح لتحويلها إلى مسرح لما تحويه من أحداث درامية وحوار سهل (راشد: 1977).

ويرى بعض الباحثين أن بدايات المسرح العربي تمثلت في مسرح الشارع ومسرح خيال الظل والمسرح الشعبي (خورشيد: 1991).

وخلاصة القول: إن العرب قدموا أعمالاً أدبية فائقة الجودة، كالشعر والأغاني والقصة والرواية والمقامة ولكن فنونهم الدرامية هذه اختلفت في بعض عناصرها مع المسرح اليوناني والروماني، وتميزت بخصائص معينة افرزتها العوامل الاجتماعية والدينية الخاصة بهم، وهذا شيء لا يقلل من مكانتها على العكس أضفى عليها صفة الأصالة والتميز.

المسرح العربي الحديث:

أول محاولة لكتابة مسرحية عربية كانت في لبنان حيث جرى في بيروت تمثيل مسرحية عربية الأسلوب هي مسرحية «البخيل» وكان ذلك في عام 1848، التي كتبها ومثلها وأخرجها «مارون النقاش» والذي قدم بعد ذلك مسرحية «الحسود السليط» و مسرحية أخرى استوحاها من كتاب ألف ليلة وليلة. وإذا اعتبرت مسرحيات «مارون النقاش» ميلاداً للمسرح العربي الحديث، فيمكن أن نلاحظ عليها مايلي:

1- لم يأت مارون النقاش في كتاباته المسرحية بجديد حيث جرى في عمله على نماذج أوروبية.

2- إنه لم يحاول ترجمة هذه المسرحيات بل قام بتعريبها.

3- أنه أقحم الموسيقى والغناء في هذه المسرحيات وطبعها بالطابع الكوميدي الصارخ جذاباً للجمهور، وترغيباً له في هذا اللون الجديد من الأدب. (العشري: 1991).

ويعد أبو خليل القباني رائد المسرح العربي في سوريا وإليه يرجع الفضل الأكبر في وضع أسس المسرح الغنائي العربي. وقد اعتمد القباني في البداية على النصوص المترجمة

عن الفرنسية للكاتب الكلاسيكي «راسين»، ثم أقدم على تأليف مسرحية «ناكر الجميل»، واستمر في التأليف والاقتراب مستمداً موضوعاته من الأدب العربي والغربي.

ورغم تشجيع الولاة الأتراك لـ «أبو خليل القباني» إلا أن الرجعيين وشوا به عند السلطان عبد الحميد وزعموا أنه ينشر الفسق فأمر السلطان بغلق مسرحه فغادر سورية إلى مصر.

وإذا كان مارون النقاش رائد المسرح في لبنان والقباني رائده في سوريا. فإن يعقوب صنوع هو رائد المسرح الحديث في مصر، ومن أهم أعماله التي قام بها صنوع وهو بصدد انشاء فرقته المسرحية اشراك المرأة في التمثيل. (المرجع نفسه).

المسرح في مصر:

في عام 1869 شيد الخديوي اسماعيل دار الأوبرا كما أنشأ مشاريع عدة قدم عليها سليم النقاش عروضه المسرحية في أواخر القرن التاسع عشر. وكذلك الأمر بالنسبة للقباني الذي قام بعرض مسرحياته طوال الفترة الممتدة من القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين. في الوقت نفسه قامت أول محاولة مصرية لكتابة مسرحية باللغة العربية وكانت على يد يعقوب ابن روفائيل المعروف بالشيخ أبو نضارة.

وقد لاقت مسرحيات يعقوب صنوع نجاحاً كبيراً وقد كانت روايات تصورالواقع الإجتماعي في مصر وتنتقد الظلم مما أدى إلى إغلاق مسرحه، ثم أمر الخديوي اسماعيل بطرده خارج مصر.وبوفاته في باريس عام 1912 توقف المسرح في مصر.

كان مسرح هؤلاء الرواد الثلاثة يقدم ثلاثة أنماط من المسرحيات وهي المسرحيات الجادة والكوميديّة والغنائيّة.

وقد شهد الثلث الأخير من القرن التاسع عشر توافد الفرق الشامية واللبنانية إلى مصر ثم ظهرت فرقة سلامة حجازي والذي يعد أول فنان مصري يتألق على خشبة المسرح الغنائي.

ومن الملاحظ أن الطابع الغالب على هذه الفترة والتي استمرت حوالي ثلث قرن من